الاستراتيجيات الخطابية في القصة القرآنية - خطابات سيدنا نوح عليه السلام لقومه أنموذجا-

Discourse Strategies In The Quranic Story - The Speeches Of Noah, Peace Be Upon Him, To His – People As A Model

الدكتورة : عيشوش نعيمة

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي (الجزائر)

aichouche-naima@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/06/26 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص :

يهدف هذا المقال لإبراز أهمية و أهداف تنوّع استراتيجيات الخطاب القرآني لنفس الشخصية في القصص القرآني المفتوح في مقامات تلفظيّة مختلفة، ذلك أنّ الخطابات هي انجاز للأفعال الكلامية و دلالة الأفعال الكلامية تتعدد بحسب مقصدية المرسل (الله عزّو جل) من خلال المواءمة بين الشكل اللّغوي المناسب ،و بين العناصر المقامية (مقام نزول الخطاب القرآني على المتلفّظ له الرسول محمد ﷺ)،و تتحدّد مقصدية الخطاب إذن بواسطة تتبع كيفية توظيف الأفعال الكلامية المجسّدة للخطاب حسب المقام الذي ورد فيه بكل ملابساته بدل التقيّد بالمعنى اللّغوي فقط.

الكلمات المفتاحية : الخطاب ؛ الاستراتيجية الخطابية ؛ الأفعال الكلامية ؛ المقام ؛ المقصدية ؛ القصة القرآنية .

Abstract :

This article aims to highlight the importance and objectives of the diversity of Qur'anic discourse strategies for the same character in the open Qur'anic stories in different verbal positions, because speeches are the implementation of verbal actions and the significance of verbal actions varies according to the intent of the sender (God Almighty) through matching the appropriate linguistic form. And among the denominative elements (the shrine of the revelation of the Qur'an discourse on the one who was enunciated by the Messenger Muhammad, may God bless him and

grant him peace), and the intention of the speech is thus determined by tracking how the verbal actions embodying the discourse are employed according to the place in which it is stated with all its circumstances instead of being restricted to the linguistic meaning only.

key words : discourse; strategy Intentionality ; Les actes de langage; context Discursive; Quranic story.

توطئة:

الخطاب القرآني هو كلام (الله) الذي أنزله على المتلقي الأوّل الرسول محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام ، ومن ثمّ إلى كل الناس لأبعاد وغايات دينية وعقائدية ،و قد اخترت من الخطاب القرآني القصص القرآني المفتوح الذي يسرده الله بتشكيلات لغوية مخصوصة في عدة سور للبحث عن الغاية من ابراز السارد للقصة (الله سبحانه و تعالى) في كل موضع خطابات باستراتيجيات مختلفة، و قد اخترت خطابات النبي نوح عليه السلام لقومه في ثلاث مقامات تلفظية مختلفة(سورة، الأعراف ،و سورة يونس ، سورة هود)

و عليه نفترض أنّ كل موضع يسرد لنا جانبا من حوار الفواعل بإستراتيجية تتلائم مع مقصدية الملفوظ في مقام التلفّظ ، و هذه الورقة البحثية لا ترمي للبحث عن سبب اختيار الفاعل لاستراتيجية معيّنة بقدر البحث عن نوع الإستراتيجية التي أظهرها المتلفّظ (الله سبحانه و تعالى) دون غيرها و علاقتها بمقصدية الملفوظ و مقام التلفّظ (زمن نزولها على الرسول محمد صلى الله عليه و سلم)، ذلك أنّ دلالات الخطاب اللّغوي تتعدّد حسب تعدّد سياقات التلفّظ .

و موضوع استراتيجيات الخطاب من الموضوعات اللّغوية التي تناولها الباحثين للكشف عن مقصدية الملفوظ في زمن التلفّظ ، باعتبارها الطريقة التي يتخذها المرسل من أجل تنفيذ إرادته و التعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللّغوية ،و غير اللّغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفّظ بعناصره المتنوّعة [1]، و بما أنّ الخطابات هي إنجاز للأفعال الكلامية فإنّ تتبع كيفية توظيفها في المقام هي دراسة لاستراتيجية المتلفّظ الخطابية .

و لا أرمي تقديم مفاهيم و تعريفات حول الاستراتيجيات الخطابية و الأفعال الكلامية المجسّدة لها في هذا المقال لأنّ أغلب البحوث إن لم نقل جلّها التي تناولت هذه المواضيع قدمت ما يكفي الباحث اللساني لفهمها ، بل إنّ الهدف منه تقديم محاولة تطبيقية من الخطاب القرآني لتبرير تنوّع سرد خطابات نفس الشخصية في القصة القرآنية باستراتيجيات خطابية مختلفة من جهة، و تبيين بمحاولة تطبيقية أنّ التلفّظ بالخطاب في مقام معيّن ليس فعلا تصويتيا بل يترتب عنه انجازا لأعمال معيّنة بواسطته، ذلك أنّ بعض الأعمال لا يمكن إنجازها إلاّ من خلال اللّغة، لذا سوف

أتناول الجانب النظري بشكل مبسط و سريع أعرف من خلاله الاستراتيجة الخطابية و أهم أنواعها و مسوغات اختيارها ، بالإضافة إلى تعريف الافعال الكلامية باختصار مع تصنيفها.

1-مفهوم الاستراتيجية الخطابية :

موضوع استراتيجيات الخطاب من الموضوعات اللّغوية المهمّة في دراسة مقصدية الملفوظ في زمن التلفّظ ، وهي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة ضمن خطة منظّمة ذات بعدين : الأوّل ذهني تخطيطي ، و الثاني مادي يجسّد الإستراتيجية لتتبلور فيه فعلا [2] ، أمّا استراتيجيات الخطاب فهي الطريقة التي يختارها المرسل في خطابه بحسب عناصر المقام ، والتي تبنى على معايير واضحة يقصدها المرسل [3].

2-العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجية الخطابية :

يوجد عاملان أساسيان لاختيار الإستراتيجية التي لها الأثر البالغ في استعمال اللّغة وتأويلها، و توجيه المرسل لاختيار إستراتيجية الخطاب هما : القصدية ، السلطة .

أ- القصدية: هي أهم العوامل التي تؤثّر في اختيار المتكلّم للإستراتيجية المناسبة للخطاب، لأنّ الغاية في قصد المرسِل إفهام المرسل إليه، وهنا يختار المرسل الإستراتيجية المناسبة لإفهام سامعه، لأنّ هذه الإستراتيجية ما هي إلاّ وسيلة للإفهام تتجسّد باللّغة لتحقيق المقاصد.

ب- السلطة: جاء في المعجم الفلسفي أن السلطة هي (القدرة والقوّة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره) ، أي هي بمعناها العام الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرا ومأموراً وأمرًا، آمرًا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمور عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه ، و تلعب السلطة في إنتاج الخطاب دورا رئيسيا ، وللسلطة من هذا المنظور أثرها البالغ في اختيار الإستراتيجية التخاطبية المناسبة، والإستراتيجية المختارة في حدّ ذاتها دالّة على السلطة الخطابية عند المتكلّم ومقاصده، وسبب اختيارها كذلك.

3-أنواع الاستراتيجيات الخطابية :

نظرا لتعدّد الاستراتيجيات الخطابية و اختلاف الباحثين في تصنيفها سأقتصر على الاستراتيجيات التي أبرزها السرد القرآني في السور المدروسة .

أ-الإستراتيجية التوجيهية : هو استعمال المتخاطبين لبعض الأفعال الكلامية التوجيهية ، حيث تضغط على المرسل إليه بدرجات متفاوتة و توجيه لفعل مستقبلي معيّن و فيها يتجاوز المرسل تهذيب الخطاب ليركز على تبليغ المحتوى ، و لهذا ركز الباحثين عند تناولها على السلطة و أصناف المرسل إليه .

و من المسوّغات التي ترجّح استعمال هذه الإستراتيجيّة عن غيرها، وهي :التفاوت في السمات المعرفية ، التفاوت في مستوى التفكير والتذوّق، رغبة المتلقي في الارتفاع بمنزلته ،كما قد تستعمل بغرض السياق التفاعلي ،وليس بغرض التوجيه السلطوي.

ب- الإستراتيجيّة الإقناعيّة : تبنى هذه الإستراتيجيّة على معيار هدف الخطاب ،وتستعمل من أجل تحقيق إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي ، مع العلم أنّ تنامي الخطاب بين طرفيه يكون باستعمال الحجاج ، لأنّ المرسل عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته فإنّ مطالبه لا تكتسي صبغة الإكراه و إنّما تتّبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوّعة ليقتنع المستمع ، ذلك أن الإقناع سلطة مقبولة لدى المتلفّظ إذا استطاع إقناع المتلفّظ له .

و عليه فإنّ هذه االستراتيجية ترتكز بالشكل الأساسي عن مفهوم الحجاج ،و الحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة ،يحق له الاعتراض عليها .

ومن مسوغات الإستراتيجيّة الإقناعيّة : قوّة تأثيرها التداولي في المرسل إليه دون فرض للرأي ، وإنّما تنتج من اقتناع المرسل إليه بتأثير من المرسل ، و تنامي الخطاب عن طريق استعمال الحجاج بين الطرفين ، وسلطة الإقناع عند المرسل إذا استطاع إقناع المرسل إليه، والوصول بذلك إلى نجاح الإستراتيجيّة وتحقيق الغاية ، و عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل، ممّا يضطر هذا الأخير لاختيار إستراتيجيّة الإقناع.

ج - الإستراتيجية التوضيحية : و هي التي تتجسّد بالأفعال الكلامية الاخبارية التقريرية، و قد فضّل بعض الباحثين تسميتها بالتوضيحية بدل الاخبارية لأنّ الاخبار لا يمثّل إلا احدى غايات التوضيح لأنّه قد يكون التوضيح لغرض الإقناع ، و يدخل التوضيح في سياق التحاورات لاقتضاءات مختلفة و متعددة ، و من مسوّغات اختيار هذه الاستراتيجية : متطلبات التوضيح من جهل المخاطب بالموضوع ، أو الاستفهام، أو الغاية الإقناعية ،أو رغبة المتكلم في أن يكون كلامهم محيطا و شاملا ، و تنجز هذه الاستراتيجية بواسطة الأفعال الكلامية التقريرية التي يمكن أن تؤدى في أسلوب خبري بسيط أو إنشائي لأن السياقات التواصلية المحدّدة هي التي تفرض صيغ التوكيد ، أو صيغ الاستفهام أو الامر أو النهي .

4- مفهوم الفعل الكلامي :هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، ذلك أنّ الكلام ينهض على نظام شكلي ودلالي من جهة، و يعد نشاطا ماديا ونحويا يستهدف تحقيق أقوال كلامية Locutoire، و أهداف غرضية illocutoire ، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... الخ) و أهداف تأثيرية Perlocutoire تخص ردود فعل الملتقى (كالرفض والقبول) من جهة أخرى[4].و تصنف الأفعال الكلامية إلى [5]:

- **أفعال تقريرية**: وهي الأفعال التي تلزم المتكلّم بصدق القضية المعبّر عنها ومن أمثالها أفعال التقرير والاستنتاج .
- **أفعال توجيهيّة** : وهي الأفعال التي تمثّل محاولات المتكلّم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما ومن أمثالها أفعال الطلب والسؤال .

- **أفعال إلزامية** : وهي الأفعال التي تلزم المتكلّم بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية، ومن أمثلتها أفعال العرض والوعد والوعيد .
- **أفعال تعبيرية** : وهي الأفعال التي تعبّر عن الحالة النفسية للمتكلّم، مثل: الشك، والاعتذار، والترحيب والتهنئة .
- **أفعال إعلانية** : وهي الأفعال التي تحدث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالبا ما تعتمد على طقوس اجتماعية، ولغوية تتسم بالإطالة، ومن أمثلتها : طقوس التنصير والزواج، وأفعال الطرد، و الإقالة من العمل ....

كما ميّز (سيرل) بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير مباشرة ، على أساس أنّ الأفعال ليس معناها دائما مطابق لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة، والدالّة على قصده بنص الخطاب، بل قد ينجز المتكلّم الفعل الكلامي دون التصريح به[6].

5-الاستراتيجيات الخطابية في خطاب نوح عليه السلام لقومه في سورة الأعراف :قبل التعرف على استراتيجيات خطاب سيدنا نوح عليه السلام علينا التعرف على مقام التلفظ بهذه الخطابات على المتلفظ له الأول (الرسول صلى الله عليه و سلم) ، حيث نزلت سورة الأعراف متضمّنة عتاب الله لرسوله الكريم ﷺ لحرجه من تبليغ جميع تعاليم الدين ممّا يبيّن أنّه في الفترة التي كان فيها الصراع في أوجّه بين المسلمين و الكفّار ، و نزلت متضمّنة أمر الله لرسوله ﷺ بالدعوة جهرا بكل تعاليم الدين الإسلامي[7].

و قد ظهر خطاب سيدنا نوح عليه السلام في سورة الأعراف بعدّة استراتيجيات خطابية، و لكن الاستراتيجية المهيمنة هي الاستراتيجية التوجيهية الذي امتلك سلطة لأداء هذه الأفعال الكلامية التوجيهية من ربّه كونه مكلفا من رب العالمين لتبليغ رسالة لقومه ، أما باقي الاستراتيجيات الأخرى فقد جاءت لخدمة الاستراتيجية المهيمنة و قد لاحظت اقتران الاستراتيجية التوجيهية بالإقناعية ،و قد ظهر خطاب نوح عليه السلام الأوّل بإستراتيجيّة توجيهيّة إقناعيّة ، يقول الله تعالى:

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف الآية 39

أي أنّ هذا الموضع أظهر تلفّظ الفاعل الأساس نوح عليه السلام باستعمال إستراتيجيتين مع بعضهما هما **الإستراتيجيّة التوجيهيّة** باستعمال النداء ﴿ **يَا قَوْمِ** ﴾و الأمر الحقيقي بصيغة (افعل) ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾ **و الفعل الكلامي التقريري** لغرض التوجيه﴿ **مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾ الذي جاء كما يقول الطاهر بن عاشور (استئنافا بيانيا للأمر بالإقلاع عن عبادة غيره)[8] كونه له سلطة الخطاب باعتباره مرسلا من ربّ العالمين واثقا ممّا بين يديه من رسالة، و مبلّغا من أوّل تلفّظ كل تعاليم

دينه ، بالإضافة للاستراتيجية الإقناعية باستعمال الفعل **الكلامي التقريري** المناسب لطرح القضايا و وجهات النظر المؤكّد بأداة التوكيد (إنّي).

و منه بيّن خطاب نوح عليه السلام في هذا الموضع ثقته العالية بما لديه، ممّا جعله يوجّه أمرا حقيقيا مباشرا لقومه يوضّح فيه كل تعاليم الدين، مصطحبا بالإستراتيجيّة الإقناعيّة التي يهيمن فيها الإقناع عن التوجيه و التضامن، ذلك أنّ فعل الإقناع يُبنى فيها على افتراضات سابقة متعلقة بعناصر السياق [9]، و قد بيّن هذا الموضع هذه الإستراتيجية بالذات لأنّه ركّز على ثقة نوح عليه السلام بما لديه، ذلك أنّه بمجرّد إرساله من الله بالبعثة أصبح له معيار سلطة الخطاب كونه رسولا من ربّ العالمين، فالحاجة إلى هذه الإستراتيجية تزداد كلّما مال معيار السلطة لصالح المرسل إليه، و وجد المرسل نفسه في مرتبة أدنى من المتلقي ، حيث يفقد جل المؤثرات الخارجية و المادية المدعّمة لخطابه ، و لا تبقى أمامه إلاّ السلطة [10] ، و هذا ما يتناسب مع مقام المتلفظ له (الرسول صلى الله عليه وسلم) إذ في اظهار السورة لثقة نوح بنفسه و تقلّده سلطة الخطاب بكل شجاعة مبرزا كل تعاليم دينه رسالة تشجيعية و تعليمية للرسول في زمن التلفظ بالسورة حيث تشابه المقامين .

أمّا خطابه عليه السلام لهم الذي جاء بعد ردة فعلهم بالتكذيب فقد جاء في قوله تعالى:

-﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾. **الأعراف من الآية 61 إلى الآية 63.**

و قد جاء رده باستراتيجية توجيهية إقناعيه بواسطة عدة آليات إقناعية و أفعال كلامية تقريرية طرح من خلالها رأيه في ردة فعل قومه، و مؤكّدا على تبليغ ما أمره الله أن يبلغه، و قد جاء التوجيه مع الاقناع بالرغم من أنّ المرسل هنا ذا سلطة، لأنّ الإقناع قد لا يحصل بالتهديد و الوعيد و الابتزاز وحده ، بل يتّجه لتوظيف العقل بما يتناسب مع ما يقتضيه الخطاب الطبيعي من مرونة و تبدّل يناسب تحوّلات السياق، و ينساق مع مجريات الأخذ و الرد[11]، لذا قدّم عدّة آليات إقناعيه متضمّنة في أفعال كلامية تقريريّة وهي:

- التعليل : يعتبر التعليل مؤشّرا على توظيف **الإستراتيجية الإقناعية** في الخطاب بألفاظ لا يستعملها المرسل إلا تبريرا أو تعليلا لفعله بناء على سؤال ملفوظ أو مفترض [12] ، حيث تضمّن خطابه تعليلين﴿ لَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ و ﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قدّم بواسطتهما أسباب أمرهم بالإيمان برب العالمين، و قد اصطحب ذلك باستراتيجية تضامنية حاول بواسطتها أن يجسّد بها درجة علاقته بقومه ، ذلك أنّها محاولة التقرّب من المرسل إليه و تقريبه [13]،و ذلك باستعماله لعدة ألفاظ معجمية تحمل معنى التضامن و هي(وأَنصَحُ ، لِيُنذِرَكُمْ ، لِتَتَّقُوا ، تُرْحَمُونَ) و هي أفعال مضارعة

تدل كما يقول الطاهر بن عاشور على (تجديد النصح لهم، و أنه غير تاركه من أجل كراهيتهم أو إيذائهم)[14]كما استعمل آلية المكاشفة في﴿ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ و يعتبر كشف الذات عنصرا من عناصر التضامن أو دليلا عن التقرّب، ذلك أنّها دليلا على استعداد المتلقّظ على إطّلاع المتلقّظ له على ما أخفاه على البقية [15] ، فقد بيّن سيدنا نوح من خلال هذه الآلية أنّه يحرص بشدّة على أن يؤمن به قومه باخبارهم بأنه يعلم ما لا يعلمون ، و هذا ما يتناسب مع مقام التلقّظ حيث يبيّن خطاب سيدنا نوح للرسول بأنّه عليه السلام أيضا مثله واجه قومه بما لا سيعجبهم و بأنه يريدهم أن يؤمنوا و لكن رغبته لإيمانهم الذي تجسّد بالاستراتيجية التضامنية لم يمنع نوح عليه السلام من ابلاغ كل تعاليم الدين . و هذا ما تناسب مع مقام التلقّظ لأنّ المتلقّظ له (الرسول ﷺ) في مقام التلقّظ في صراع شديد مع قومه راجيا منهم الإيمان لدرجة أنّه أصبح في حرج ممّا سيقوله لهم من تفاصيل تعاليم الدين لأنّهم لم يؤمنوا بعد.

. الحجاج بالتبادل : يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، و ذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة نظر بين المرسل و المرسل إليه، و ما يتميّز به هذا النوع من الحجاج أنّه دعوة المرسل للمرسل إليه إلى ترسيخ هذا المبدأ بينهما بالتساوي[16] ، وقد ظهر في قوله تعالى :

- ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ حيث بيّن هذا الفعل الكلامي التقريري المقترن بالفعل الكلامي التوجيهي (النداء) نفي نوح عليه السلام كونه في ضلال ردا على خطابهم الذي وصفه بأنه في ضلال مبين في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الأعراف الآية 60 ، و قد أتى بلفظ ضلالة بدل ضلال لأنه كما يقول الرازي (ليس بأي نوع من أنواع الضلالة البتة فكان هذا أبلغ...ثم إنه عليه السلام لما نفي عن نفسه العيب الذي وصفوه به و وصف نفسه بأشرف الصفات و هو كونه رسولا إلى الخلق من رب العالمين ذكر ما هو المقصود من الرسالة و هو أمران الأول تبليغ الرسالة و الثاني تقرير النصيحة)[17]

. الفعل الكلامي التوجيهي: كما استعمل **الإستراتيجية التوجيهية** بواسطة :

- النداء : يا قوم

- **<u>الاستفهام الموجّه</u>**: حيث وجّه لهم استفهاما ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ فالأسئلة أشدّ إقناعا للمرسل إليه و أقوى حجة عليه، و ذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر، فالاستفهام هنا حقيقي و موجّه وإنكاري تضمن تقديم حجة عدم إيمانهم بمعنى أنّه فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه ، فقد قدّم من خلال هذا الاستفهام حجتهم المتمثّلة في تعجّبهم من نزول النبوّة على رجل منهم ، و هو ما يناسب مقام

التلفّظ الذي كان فيه الرسول صلى الله عليه و سلم متأسّف على عدم إيمان قومه فقدمته قصة نوح في خطاب نبيها لتبين تشابه المقامات .

و قد ورد خطاب نوح لقومه حاملا كل هذه الأفعال التقريرية الحاملة لاعتقاداتهم بتلك الاستراتيجيات التي جاءت كلّها للإقناع لمقصدية تتعلّق بمقام التلفّظ باعتباره علامة دالّة على عدم إيمان القوم، و على إعلانهم للمواجهة من البداية رغم تيقّنهم من أنّ ما جاء به حق، و هذا ما يتطابق مع مقام التلفّظ الذي كان فيه كفار قريش مصرّين على عدم إيمانهم رغم وضوح نبوّة الرسول ﷺ.

و منه فإنّ خطابات نوح عليه السلام ظهرت في هذا الموضع بقوة و ثقة كما بيّن تكبر قومه ممّا يجعلنا نعتبر تلفّظاتهم علامات لغوية دالّة على مقصدية الملفوظ في زمن التلفّظ الذي كان فيه الرسول ﷺ في أشدّ صراعه مع قومه محرجا ممّا سيقوله لهم من تعاليم الدين، فبيّن الله له من خلال سرد هذه القصة أنّ أحوالهم مماثلة لأحوال قوم نوح عليه السلام الذين لم يؤمنوا بل زادهم ذلك تكبّرا وعنادا.

و عليه فإنّ مسوغات بروز و ترجيح هذه الاستراتيجية في سورة الأعراف تمثلت في اكتساب سيدنا نوح سلطة الخطاب بمجرد تكليفه من الله بإبلاغ رسالات ربه فهو مرسلا من الله (المتلفظ بالخطاب لسيدنا محمد بواسطة جبريل عليه السلام)، ذلك أنّ مفهوم السلطة كما وردت في المعجم الفلسفي بأنّها (القدرة والقوّة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره)[18] ، فذلك التكليف اكسبه القدرة على الأمر و النهي المصحوبين بخوفه عليه السلام على قومه من عذاب أليم ، و عدم خوفه أو تردده في ابلاغ ما أمر به كونه صاحب سلطة ، لأنّ جل تركيزه أثناء توجيه خطابه لهم حول تبليغ محتوى الرسالة ، و هذا ما يتطابق مع مقام التلفظ الذي كان فيه المتلفظ له الأول الرسول ﷺ في أشد الصراع مع قومه الذين واصلوا في عنادهم و تكبرهم على الإيمان بالرغم من بيان وضوح نبوته عليه السلام فكان في حرج من ابلاغهم كل تعاليم الدين الاسلامي لأنهم لم يقنعوا بالإسلام بعد.

6- الاستراتيجيات الخطابية لخطاب نوح عليه السلام لقومه في سورة يونس :

نزلت سورة يونس متضمّنة استهزاء قوم الرسولﷺ و ردّة فعلهم من دعوته و تعجّبهم من نزول القرآن على بشر و تقوّلهم على الرسول ﷺ فجاءت ردّا على الذين تعجّبوا من نزول القرآن على الرسول ﷺ حيث(يقول ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدا ﷺ أنكرت الكفار، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، أما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب)[19] ،فأنزل الله قوله: ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ**﴾. يونس الآية 02.

و عليه بيّن الله من خلال العديد من آيات سورة يونس أنّ كل اختياراته كانت لحكمة و لمعرفته بالغيب ،و أنّ ما على البشر إلا العمل لينالوا الجزاء الذي من جنسه .

و قد ظهر خطابا واحدا لسيدنا نوح عليه السلام في سورة يونس باستراتيجية **توضيحية** تجسّدت **بأفعال كلامية تقريرية** مصحوبة باستراتيجية **توجيهية**، وهو في قوله تعالى :

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ. فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ **يونس الآية 71-72**

افتتح خطابه عليه السلام بالفعل الكلامي التوجيهي (النداء) لينبّه قومه بأنّه يعلم ما يتقوّلونه عليه حيث سرد بعده مباشرة ما تقوّلوه باستعمال **الإستراتيجيّة التوضيحيّة** في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾، حيث جاء هذا **التقرير** لإعلام قومه بأنّ ما تقوّلوه لا يضره في شيء بل نظر إلى الأمر من نظرة أنّه يتسارعون للقاء هلاكهم بسبب أعمالهم ، لأنّ الجزاء يأتي بحسب العمل، و تأكّد و تيقّن من أنّ نصر الله يقترب بأعماله لذا سارع للتوكل على الله الذي يعرف بأنّه السبب في نصره و نجاته من القوم الظالمين ، بمعنى أنّ خطاب نوح عليه السلام افتتح بتبيين مهمة البشر مقابل انكار الدعوة لأنّ مقام التلفّظ يتطلب تبيين الأعمال و ما يترتب عنها أكثر من قص أحداث القصة و تبيين عواقبها إذ يتضمّن هذا التقرير أنّ قوم نوح عليه السلام شق عليهم موكث نبيّهم و كثر وعظه و تذكيره بعقوبة الله له، فقرّر التوكل على الله لوثوقه بالجزاء الذي سيحصده من التوكّل ، و تأكّده من جزاء قومه الذي سيأتي بحسب أعمالهم ، ثم واصل خطابه **بإستراتيجيّة توجيهيّة تلميحية** بالأساليب الإنشائية الطلبية المتمثلة في :

ـ الأمر : في قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ و قد جاء بصيغة الأمر لطلب القيام بأعمالهم التي يقومون بها بالفعل ،و التي ستؤدي بهم للهلاك ، حيث طلب منهم أن يأتوا بمعية أصنامهم بما يتآمرون به عليه ، و هذا ما يعتبر كتلميح لمقام التلفظ لأنّ ما يقومون به قريش للنبي من استهزاء و أعمال ما هي إلا بداية نصر المؤمنين و هزيمة المشركين ، بمعنى أنه تلميح لمقام التلفّظ على أنّ الخطاب يعالج مسألة أنّ الجزاء من نفس جنس العمل .

ـ النهي: في قوله تعالى : ﴿ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾، أي ليكن أمركم ظاهرا منكشفا تتمكنون فيه ممّا شئتم لا كمن يكتم أمرا و يخفيه فلا يقدر أن يفعل ما يريد.

ـ الأمر المقترن بالنهي: في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ ﴾ ، و معناه توجّهوا إليّ بالقتل و المكروه ، دون تأخر، و في هذا النهي تلميح لفعل كلامي تقريري يتضمن أنّكم لن تستطيعوا الإساءة لي ، كما يتضمّن طمأنة للرسول صلى الله عليه و سلم في زمن التلفّظ .

ثم اختتم الخطاب باستراتيجية **توضيحية** في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ و هي توضيحية في مقام القصة يبيّن فيها لقومه بأنّ مهمته الإيمان و تطبيق تعاليم دينه و أوامر ربه و لا يرجو منهم جزاء ، و أن أعمالهم و استهزائهم برسول ربهم ستؤدي بهم لعدم الإيمان ثم الهلاك ، و هي إقناعيه في مقام التلفّظ للمتلفّظ له (الرسول صلى الله عليه و سلم) خاصة في قوله تعالى﴿ **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾كتأكيد على أنّ مهمته الإيمان و الثقة بالله والعمل و الامتثال لأوامر الله كي يتحصل على الجزاء المستحق ، يقول الطبري (و أمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة ، المنقادين لأمره و نهيه ، المذللين له ، و من أجل ذلك أدعوكم إليه ، و بأمره آمركم بترك عبادة الأوثان)[20]

و عليه فإنّ خطاب نوح عليه السلام بالاستراتيجية التوضيحية الذي استنكر فيه ما يراه من قومه من انكارهم للنبوة و محاولتهم القضاء عليه يعتبر **كعلامة تلفظيّة** لزمن التلفّظ الذي كان فيه قوم الرسول ﷺ يتقوّلون و يتلفّظون بأقاويل تستهزئ بما جاء به ﷺ ، فردّت عليهم القصة في هذه السورة بأنّ الله حكيم في تدبير أموره، و أنّ كل جزاء جاء بسبب عمل معيّن.

و عليه فإن بروز هذه الاستراتيجية في مقام التلفّظ (أي المقام الذي نزلت فيه السورة) كانت لمسوغات أهمّها توضيح مقام القصة و أعمال الرسل و مهامهم بواسطة أفعال كلامية تقريرية و أخرى توجيهية تضمّنها خطاب نوح عليه السلام المتمثلة في العمل الصحيح لوصول للجزاء الحسن .

7-الاستراتيجيات الخطابية في خطاب نوح عليه السلام لقومه في سورة هود :

أمّا خطابات سيدنا نوح عليه السلام في سورة هود فقد هيمنت عليها الاستراتيجية الإقناعية ، حيث طرحت في هذه السورة قضية مهمة في الحياة البشرية، تتمثل في قضية "التوحيد و الإيمان بالبعث و الجزاء "، التي أحدثت جدالا كبيرا مع كل الأنبياء و أقوامهم ، حين حاول الأنبياء عليهم السلام إخراج أقوامهم من الضلال والشرك الكبير الذي كانوا يعيشونه، إلى النور ومعرفة الحقيقة الإلهية، وذلك من خلال محاورتهم عن طريق تقديم الحجج الدامغة، التي بها أرادوا إقناعهم والتأثير فيهم ؛وبالتالي تغيير وجهة نظرهم (معتقداتهم) الخاطئة، ولهذا فهو نص قرآني حجاجي، يسعى فيه المخاطِب إلى إقناع الطرف الثاني بهذه الدعوى.

و قد ورد خطاب سيدنا نوح مع قومه في سورة هود بعد ذكر بعثة النبي محمد ﷺ، والإثبات بالبرهان أنه رسول من رب العالمين، ليتبيّن لقومه أن محمدا ﷺ رسول من الرسل، بُعث بمثل ما بعث به

الأنبياء قبله، من الدعوة إلى عبادة الله وحده، والإيمان بالبعث والجزاء ،وهذا الخطاب إذن ذو طبيعة حجاجية ؛ لأنه جاء ليغيّر وجهة نظر كانت سائدة .

و أخذت خطابات سيدنا نوح عليه السلام الوضعية الحجاجية التالية:

الأطروحة المقترحة	الحجة المساندة	الحجج المعارضة	الأطروحة النقيض	الحجج الداحضة للحجج المعارضة	النتيجة (ن)
التوحيد والإيمان		لا إيمان بالبعث والجزاء	لا توحيد	لكن لا اقتناع بالبعث والجزاء	إفحام بالبعث والجزاء

لقد بدأت قصة نوح عليه السلام في سورة هود بالتأكيد على أن نوحا بعثه الله إلى قومه؛ لينذرهم ويُبيّن لهم طريق الحق، موجهة للمتلفّظ لهم في مقام التلفّظ رسالة لإقناع قوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه كذلك رسول، بُعث إلى كافة الناس، مثله مثل من سبقه من الأنبياء، كنوح عليه السلام، وغيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ ولهذا جاءت الآية مؤكدة بمؤكدين :(اللام + قد)، وهما يعملان على تثبيت المعنى (أن سيدنا محمد ﷺ نبي، كما كان سيدنا نوح عليه السلام نبيا من قبله) عند المتلقي (الذي لم يصدق نبوّة الرسول محمد ﷺ)؛ وهذا من أجل إزالة الشكوك وإبعادها، بمعنى أنه جاء ليؤكّد الخبر لمن ينكره؛ ولهذا أُكد بمؤكدين ،وكما هو معروف، فإن الخبر المؤكد بمؤكدين أو أكثر (الخبر الإنكاري)، أقوى حجاجيا من المؤكد بمؤكد واحد (الخبر الطلبي)، وهذا الأخير أقوى حجاجيا من الخبر غير المؤكد (الابتدائي)-وهذا وفقا لطبيعة السياق الوارد فيه- ،و يمكن تجسيده في (السلم الحجاجي) التالي :

ن سيدنا محمد ﷺ نبي ورسول مثل سيدنا نوح نبيا ورسولا

ح3 لقد أرسلنا نوحا إلى قومه

ح2 قد أرسلنا نوحا إلى قومه

ح1 أرسلنا نوحا إلى قومه

فالحجة الثالثة المؤكدة بمؤكدين (لـ وقد)، أقوى حجاجيا من المؤكد بمؤكد واحد (قد) (الحجة الثانية)، وهذه الأخيرة أقوى حجاجيا من الحجة الأولى غير المؤكدة .

وبعد تأكيد نبوة سيدنا نوح عليه السلام؛ بدأ سبحانه وتعالى بسرد الحوار الذي دار بين سيدنا نوح عليه السلام وقومه، حول النبوة ووحدانية الله عزّ وجل، والإيمان بالبعث والجزاء، حيث بدأ هذا الحوار بما ورد على لسان سيدنا نوح عليه السلام، والذي قال فيه إنه بُعث نذيرا لقومه (ينذرهم قبل فوات الأوان، بأن لله حدودا وقد تجاوزوها)، ومُبينا (ليبين لهم الخطر الذي سيلحق بهم؛ إذ لم يتداركوا هذا التجاوز)، بمعنى أن نوحا وضّح الدور الذي يقوم به، والمتمثل في أنه (نذير ومبين)، فمن كان رسولا كان نذيرا مُبينا، وهذا ما يمكن توضيحه في المخطط الآتي :

الحجة (ح)	النتيجة (ن)
سيدنا نوح عليه السلام رسول من الله	إذن هو نذير ومبين

و عليه جاء خطاب سيدنا نوح في هذا الموضع بالاستراتيجية الإقناعية بواسطة عدّة آليات إقناعيه منها الفعل الكلامي التقريري في قوله تعالى :﴿ **إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾ الذي جاء مؤكدا بمؤكد (إنّ)، التي تعمل على تأكيد المعنى .

وبعد إعلان سيدنا نوح عليه السلام لنبوته، ذهب إلى طرح دعواه، والمتمثلة في (عبادة الله وحده، وأن لا يشركوا بعبادته شيئا آخر)، حيث عمد إلى طرح دعواه بأسلوب الحصر (القصر كما يسميه البلاغيون)، وقد كان بالنفي والاستثناء:﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وللحصر دور حجاجي مهم، يتمثل في توضيح المعنى وبيانه، وذلك بتحديد التأويلات وحصرها، فهو من العوامل الحجاجية، التي تعمل على تقييد التأويلات؛ ذلك أنه لو قال: (أن اعبدوا الله)؛ لالتبس الأمر على المتلقين؛ ولما فهموا المقصود؛ ولذهبوا إلى عبادة الله من جانب ،وعبادة شيء آخر من جانب ثان، وهذا لتعدد التأويلات .

بمعنى أنه بالحصر يكون قد نفى أن يُشرك مع عبادة الله عبادة أخرى؛ وذلك لأنه قام ، كما عمد إلى تأكيد المعنى ب (أن)؛ لترسيخه في ذهن المتلقي .

ثم أضاف عليه السلام آلية حجاجية أخرى تجسّد الإستراتيجية الإقناعية و هي التعليل حيث علّل طرحه بخوفه عليهم من العذاب العظيم، الذي سيُسلطه الله عليهم؛ إن بقوا على شركهم له، و أضاف آلية الوصف عندما وصف هذا العذاب بالأليم، ولهذا الوصف بعد حجاجي، يتمثل في توجيه القول نحو نتيجة معينة، تتمثل في أنّه (لا بد من تجنب هذا العذاب)، لأنه أليم، وهذا ما يمكن التمثيل له بالخطاطة الآتية:

الحجة (ح)	النتيجة (ن)
العذاب أليم	يجب تجنب العذاب

وقد أكّد تخوّفه هذا بأداة التوكيد (إنّ) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾

وانطلاقا ممّا سبق تكون بنية سيرورة الحجاج في خطاب سيدنا نوح عليه السلام كالآتي:

الأطروحة	الحجة
(أن لا تعبدوا إلا الله)	بدون عبادة الله وحده سيلقون العذاب الأليم

و ما يمكن ملاحظته من هذا التحليل أنّ المخاطِب (المحاجج /سيدنا نوح عليه السلام) متيقّن من أطروحته ومتأكّد منها ذلك أنّه بدأ بطرح أطروحته أولا: (عبادة الله وحده)، ثم قدّم حجته المدعمة لأطروحته.

وبعد تقديم الحجة من قبل سيدنا نوح عليه السلام؛ ينتظر نتيجة من قومه، تتمثل في اقتناعهم بالأطروحة، وعبادة الله وحده، وهذا ما يمكن تمثيله في الآتي:

أطروحة	الحجة المدعمة	النتيجة المنتظرة
أن لا يعبدوا إلا الله	بدون عبادة الله وحده سيَلقون	عبادة الله وحده
العذاب الأليم	وتجنب العذاب الأليم	

إلا أن النتيجة التي انتظرها سيدنا نوح عليه السلام من قومه لم تتحقق؛ بل ردوا على حججه بحجاج مضاد من خلاله مجادلته وإبطال دعوته،يقول تعالى : : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ .

بعد تلقي سيدنا نوح عليه السلام رد قومه على دعوته بالرفض المصحوب بعدة حجج مضادة ، ردّ عليهم بحجاج مضاد بواسطة خطابه الذي قدّمه باستراتيجية إقناعية من أجل دحض حججهم التي أدلوا بها، و قد تجسّدت هذه الإستراتيجية بواسطة عدة آليات إقناعة تمثلت في:

-الفعل الكلامي غير المباشر: المتمثل في السؤال غير الحقيقي الذي وجّهه نوح عليه السلام لقومه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾؛ إذ جاء هذا السؤال من أجل التأثير في قومه، ولفت انتباههم؛ لمعرفة الإجابة التي سيدلي بها،

بمعنى أخبروني بماذا ترون، وماذا تقولون إن كنت على حجة فيما جئتكم به من ربي؟ إلاّ أن هذه الرحمة، وهذه البُشرى، وهذا الفوز لن تشاركوني فيه، لأن جهلكم وغروركم بالمال والجاه، حجب عنكم رؤية هذا الفوز، وهذا ما يمكن تجسيده في:

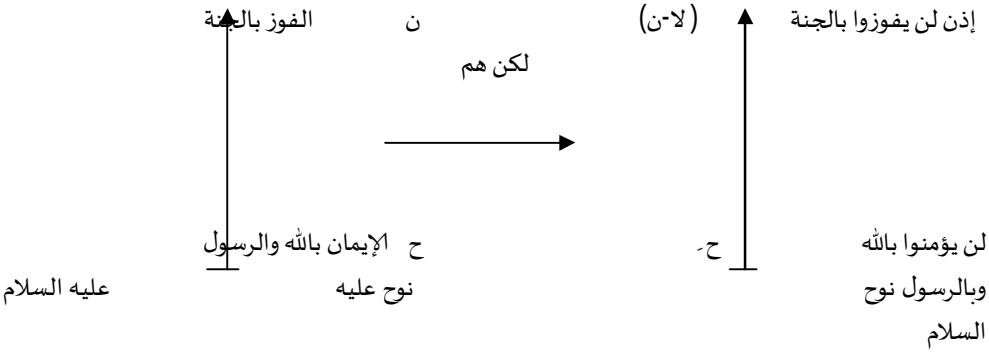

ثم يواصل خطابه بالفعل الكلامي الطلبي المتمثّل في الاستفهام الإنكاري ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾، والاستفهام الإنكاري كما هو معروف وسيلة من وسائل الإقناع لا شك في نجاعته الخطابية؛ إذ من شأنه أن يُجبر المتلقي المحجوج على الاعتراف بما قد وضعه السؤال نفسه كجواب مضمون، فالسؤال الإنكاري لا يترك مجالا لإمكانيتين (الإثبات والنفي)، بل لإمكانية واحدة في الجواب فقط، فهو يرى أن توجيه السؤال في إطار الحجاج، يساوي توجيه النفي تماما، بمعنى (لن نلزمكموها وأنتم لها كارهون): أي نفي الإلزام والإكراه .

وعدم الإلزام والإكراه من ركائز الحجاج؛ ذلك أن الحجاج يتمثل في تقديم الحجج والبراهين، التي تؤدي إلى التأثير والإقناع، بعيدا عن العنف والإكراه.

ويواصل سيدنا نوح عليه السلام دحض حججهم بحجته الثانية، والتي ينكر فيها أن يكون مجيئه بهذه الدعوى طمعا في مالهم وشرفهم ؛لأن المال والشرف من عند الله الواحد فقط؛ ولهذا استعمل في الفعل الكلامي التقريري ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ أسلوب الحصر بالنفي والاستثناء ؛ لأنه لو لم يستعمل الحصر (الذي هو من العوامل الحجاجية، التي تعمل على تقييد المعنى)؛ لكان الأجر من عند الله ومن عند غيره، وهذا تأكيد آخر على وحدانية الله عزّ وجل ووجوده، وقد استعمل كذلك أداة التوكيد: (إن)؛ لإثبات المعنى (الله سبحانه وتعالى موجود ولا إله غيره).

كما استعمل الفعل الكلامي التقريري في قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**﴾ حيث نفى من خلاله قدرته على طرد الفقراء الذين آمنوا، بمعنى

أنه ليس لديه سلطان في هذا، وليس من شأنه، بحجة أنهم سيُلاقون ربهم، وهنا تأكيد على وجود الله سبحانه وتعالى، وعلى البعث والجزاء، وقد استعمل للتأكيد أداة التوكيد: (إنّ)، في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُواْ رَبِّهِمْ ﴾، وسيسألهم عما كانوا يفعلونه في دنياهم، ولا يسألهم عن مالهم وشرفهم لأنه من عند الله، يعطيه لمن يشاء، ويمنعه على من يشاء ،و لا قيمة له عند الله ؛ ولهذا جاء بعد هذا القول الرابط الحجاجي (لكن)، الذي يعمل على توجيه القول إلى نتيجة ما بعده (تجهلون)، بمعنى أن جهلهم الحقيقة، وعدم قدرتهم على رؤيتها؛ جعلهم لا يفقهون هذه الدعوى؛ وهذا نتيجة لرؤيتهم السطحية التي اتهموا بها الفقراء .

ويواصل تأكيده على وجود الله سبحانه وتعالى، وعلى البعث والجزاء، ودحض حججهم المقدّمة بواسطة الفعل الكلامي غير المباشر الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، وهو سؤال خرج عن معناه الحقيقي؛ ذلك أن السائل أعلم بالإجابة من المسؤول، ولكن جاء به من أجل لفت الانتباه لوجود الله الواحد الأحد، وأنه قوي وقادر على كل شيء، وأنه شديد العقاب على من لا يُطيعه، بمعنى أنه إذا قام بطرد المؤمنين الفقراء؛ صار من الظالمين؛ والله يعاقب الظالمين، وأن هذا القول هو عبارة عن قياس، يمكن تخريجه كالآتي:

-المقدمة الكبرى: الله يُعاقب الظالم

-الحجة: طرد الفقراء واحتقارهم ظلم

-النتيجة: من يطرد الفقراء ويحتقرهم يعاقبه الله

أي أنه متى استجاب لدعوتهم وطرد الفقراء؛ عاقبه الله، وهنا حجاج بالمثل، بمعنى أنهم (أي الكفار الذين أرادوا طرد الفقراء واحتقارهم)؛ سيُعاقبهم الله عقابا شديدا، وهو بطريقة غير مباشرة يُنبههم إلى هذا بقوله: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، وهذا تنبيه وتحذير لهم، بمعنى أنه لو قام بطرد الفقراء؛ لعاقبه الله (هذا المذكور)، والمضمر (أنتم تطردون الفقراء وتحتقرونهم؛ إذن الله سيعاقبكم).

كما لاحظنا استعمال الفعل الكلامي الطلبي المتمثل في النداء (يا قوم) بشكل متكرر من نوح عليه السلام ممّا يدل على تأكيده على مخاطبتهم باللين لا القوة، الذي يُعد من الركائز الأساسية للحجاج .

وقد أكّد نوح عليه السلام بواسطة عدّة أفعال تقريرية منفية بشريته مثله مثل قومه إلا أنّه فضّله الله عليهم بقوة إيمانه ، و ذلك بسرد صفات النبي والتأكيد عليها، بنفي الادعاء: (لا أقول)، وبالتأكيد: (إن...) من خلال الأفعال التقريرية التالية :

- ﴿**وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ**﴾: بمعنى أن المال لله وحده؛ ذلك أنه لو كانت عنده خزائن الله؛ لاتبعه بعض الناس طمعا في هذا المال والرزق.

- ﴿**وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**﴾: فعلم الغيب لله وحده، إلا ما أوحي إليه من عند الله؛ ذلك أنه لو كان علام الغيوب؛ لاتبعه الناس لهذا.

-﴿ **وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ**﴾: لأنه لو كان ملكا؛ لقارنوا بينه (كمَلك) وبينهم (كبشر)، في أداء العبادات المختلفة.

-﴿ **وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا**﴾: وهنا يرجع ويدافع عن الفقراء، بأنه لن يقول لهم بأن الله لن يؤتيهم خيرا؛ ذلك أنه مادام العلم لله؛ كان عالما بما في صدورهم ؛ والله سيجزي المؤمنين، وإذا قال لهم بأن الله لن يؤتيهم خيرا؛ يكون من الظالمين، وهنا ربط السبب بالنتيجة، باعتماد الرابط (إذن)، وقد تكررت البنية اللغوية (لن أقول...) أكثر من مرة؛ وهذا لتأكيده المعنى المشار إليه.

وبالرغم من أن حججه عليه السلام واضحة لم تترك مجالا لتقديم الحجاج المضاد؛ إلاّ أنّهم أصرّوا على الباطل والإنكار، يقول تعالى:

﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾

ثم جاء خطاب نوح عليه السلام تأكيدا على أن الأمر كله يرجع إلى الله وحده سبحانه وتعالى و قد جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ بإستراتيجية إقناعية بواسطة الفعل الكلامي التقريري الذي أثبت من خلاله وجود الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾، مقابل قولهم: ﴿فَأْتِنَا﴾ كما أثبت من خلاله أنّه بشر مثلهم لا يعلم الغيب، إلا ما أوحي إليه بل سيأتي به الله متى شاء، وأنهم ما هم بمعجزين؛ ذلك أنهم في ملك الله، والله يتحكم في ملكه متى يشاء وكيفما يشاء.

و هنا نصل لسبب ابراز السارد للقصة خطاب نبيه نوح عليه السلام بالإستراتيجية الإقناعية مع تبيين رفض قومه للإيمان رغم قوة حججه، بمعنى أنّ قومه لم يؤمنوا بسبب عدم إقتناعهم، فالحجج العقلية بيّنة، بل بسبب تكبرهم على أن يأتيهم رسول بشر مثلهم اتبعه فقرائهم ، و لمعرفة مسوّغ ظهور هذه الاستراتيجية نرجع لمقام المتلفّظ له الأوّل (الرسول محمد عليه السلام) أثناء نزول سورة هود .

نزلت سورة هود في أصعب الأوقات على الرسول صلى الله عليه و سلم ، بعد عشر سنوات من البعثة، عندما كان المسلمين يتلقون أشد أنواع التعذيب من قريش، و هو الوقت الذي أذن فيه الرسول لصحابته بالهجرة إلى الحبشة، بعد طرده من الطائف ، و رفض جميع القبائل نصرته و تقبّل دينه .

فجاءت خطابات نوح عليه السلام باستراتيجية إقناعية محكمة رغم عدم استجابة قوم نوح و ردودهم غير المنطقية ليتبيّن للرسول صلى الله عليه و سلم ، و من معه من المسلمين بأنّ عليهم

الصبر و الثبات و مواصلة الدعوة و الإصرار على الاستمرارية في اظهار الحجج بمنطقية و حكمة عقلية حتى يظهر الله أمره مثلما فعل نوح عليه السلام الذي لم ييأس رغم مكوثه طويلا في دعوة قومه دون استجابة منهم ، و قد كان رده كما رأينا يبيّن من خلاله بشريته و قدرة الله و حكمته في تبيين نصره الوقت الذي يشاء ، و عليه فهذه الاستراتيجية عبارة على مثال ضربه الله لرسوله و صحابته بيّن من خلالها ضرورة الصبر على الدعوة و الاستمرارية فيها رغم الضعف البشري و القوة الإلاهية التي لا تظهر النصر إلا في الوقت الذي يشاء.

النتائج:

- يختار المتلفّظ Enonciateur إستراتيجيّة خطابيّة معيّنة تناسب هدفه من الخطاب Discours .
- يظهر في كل سورة جزءا من خطاب سيدنا نوح عليه السلام بإستراتيجيّة معيّنة تتلائم مع مقصديه السورة المتلفظ بها في مقام التلفّظ Situation de d'énonciation بحسب أحوال المتلفّظ له (محمد ﷺ)، وعليه فالتنوع ليس محكوما بالشكل اللّغوي، بل بمقصدية المرسل من خلال الموائمة بين الشكل اللّغوي المناسب و العناصر المقامية.
- للاستراتيجيات الخطابية مسوغات استعمال بحسب مقام المتلفّظ في زمن القصة و المتلفّظ له في زمن السرد فقد ظهرت الإستراتيجية التوجيهية في سورة الأعراف لامتلاكه عليه السلام سلطة الخطاب لإبراز ثقته بما عنده من ربّه عزّ وجل كونه نبيّا مكلّفا بضرورة تبليغ كل تعاليم الدين ،و ظهر خطابه عليه السلام باستراتيجية توضيحية في سورة يونس لتوضيح حقيقة أن الجزاء يكون من نفس جنس العمل و أنّ الله عز وجل عالم بالغيب حكيم في اختياراته و هو ما يناسب مقام التلفظ الذي كانت قريش تستهزأ من نزول الوحي على يتيم بني هاشم فثبّت الله رسوله و المؤمنين و أرشدهم للقيام بالأعمال الصالحة فقط حتى يتحصلوا على الجزاء و النصر ، أما في سورة هود التي نزلت على الرسول صلى الله عليه و سلم وهو في أصعب الأوقات من تعذيب المسلمين و بداية الهجرة للحبشة فقد جاءت خطابات نوح عليه السلام باستراتيجية اقناعية محكمة بينت أن على الرسل عدم الاستسلام للمصاعب و تكبر القوم على الإيمان بل عليهم الاستمرار في الدعوة بتقديم الحجج العقلية والمنطقية إلى أن يشاء الله .

قائمة المراجع والمصادر:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري. إستراتيجيات الخطاب ، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2004 .
2- Austin(J. L) ،Quand dir c'est faire ،traduit par: Gilles Lane ،éditions du seuil paris ،1970
3- SEARLE (John-R) ،Les actes de langage, Collection savoir ،HERMANN ،Paris 1972 .
4- ابن عاشور (محمد الطاهر) ، تفسير التحرير و التنوير ،(د ط)، ج9،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1984.
5- ابن كثير(عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) ، تفسير ابن كثير، ط7، ج2،دار الحديث، القاهرة، 1993،

6- عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، (الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس)، دط، دار كنوز المعرفة، عمان، 2015.
7- الرازي(فخر الدين)،مفاتيح الغيب ،(د ط) ، دار الفكر ، ج14،بيروت ،1981،
8- جميل صليبا .المعجم الفلسفي، دط، دار الكتاب اللبناني، ج1،بيروت، لبنان، 1982.
9- ينظر : الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، مختصر الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحق: محمد علي الصابوني،وصالح أحمد رضا، (د ط)، مكتبة رحاب، بيروت، 1983.

الإحالات و الهوامش :

[1]ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري .إستراتيجيات الخطاب ، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2004 ،ص56.

2- ينظر: نفسه ، ص53.

3 - ينظر : نفسه ، ص56.

4 - J. L . Austin ، Quand dir c'est faire ، traduit par: Gilles Lane ، éditions du seuil ،paris ، 1970; P 39-41.

5- (J-R) SEARLE ، Les actes de langage ، Collection savoir، HERMANN، Paris 1972 ،P:86.

6 - (J-R) SEARLE ، Les actes de langage ، P 60.

7 - ينظر : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ،تفسير بن كثير، ط7، دار الحديث، القاهرة، 1993،ص 122 .

8 - ينظر: الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ،(د ط) ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،ج9،1984،ص188.

9 - عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، (الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس)، دط، دار كنوز المعرفة، عمان، 2015،ص402.

10 - ينظر: نفسه، ص 402.

11 - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص457-458.

[12]- ينظر : نقسه ص478.

[13]- ينظر : نفسه، ص 257.

[14] - ينظر الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج9، ص192

[15]- ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب، ص304.

[16] - ينظر: نفسه،ص:486.

[17] - ينظر :فخر الدين الرازي ،مفاتيح الغيب ،(د ط) ، دار الفكر ،بيروت،ج14،1981،ص150

[18]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982،ص270.

[19]- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ،تفسير بن كثير، ج2 ،ص 303.

[20]- ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مختصر الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحق: محمد علي الصابوني،وصالح أحمد رضا، (د ط)، مكتبة رحاب، بيروت، 1983،ص217.